ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ثم الحمد لله الذي جعلّ في البلاء تطهيراً للذّنوب ورفعاً للدرجات، وأشهد أنّ سيدنا وقائدنا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله رسول الله المجتبى، الوصية بالتقوى أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي المقصّرة بتقوى الله ـعزّ وجلّـ وأحذركم ونفسي المقصرة من عصيانه ومخالفة أمره، ١] واعلموا أنّه بالصبر والتقوى لا يضرّ المسلم عداوةَ حاقدٍ ولا كيد فاسد، ٢] الخطبة الأولى أيها الأخوة الفضلاء، فالشيطان يسعى بكلّ جهده ليصدّ العبد عن ذكر ربّه، هل نقدّم أمرَ ربّنا أم ما تهواه أنفسنا ممّا حرمّ الله ـسبحانهـ ونهى عنه، ٣] ولمّا كان الصبر في أدقّ معانيه هو حبْسُ النفس عمّا تكره، ٤] كان لا بدّ أن يُعلمَ أنّ الدنيا هي دار بلاء ونعيم، فالدنيا تكون تارة جميلة محببة للنّفس، وأما قول النبي ـصلى الله عليه وسلمـ: (الدُّنيا سجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الْكافرِ)، ٥] فهو محمول على أنّ الدنيا سجن المؤمن مقارنة بنعيم الجنة، وأما قوله "جنة الكافر" فهو بالنسبة لما سيلقاه من عذاب الآخرة ـأجارنا الله منهاـ إذ لم يرعَ حقّ الله في الدنيا؛ ٦] وما يميّز المؤمن عن الكافر في البلاء ـ يا عباد اللهـ أنّ العبد المسلم يؤجر ويُثاب على صبره بجنة عرضها السماوات والأرض جزاءً بما صبر، ٧] ويقول النبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ: (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنّ من أعظم ما يعيننا على الصبر على مصائب الدنيا هو التّوجه إلى الله ـسبحانهـ من أعماق قلوبنا ليشكف عنا البلاء؛ ٩] ثمّ يقيننا بوعد الله برفع البلاء؛ ١٠] ولا يخفى علينا أنّ حسن الظنّ بالله من أعظم ما يواجه به المسلم البلاء؛ ونستحضر أنّه ـعزّ وجلّـ رحيمٌ ودودٌ قادرٌ على رفعِ البلاء مهما كانتْ شدّته ومهما عظُم أمره؛ ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة ـرضي الله عنهـ أنّ رسول الله ـصلى الله عليه وسلّمـ قال فيما يرويه عن ربّه ـجلّ وعلاـ: (أنا عِنْدَ ظَنّ عَبْدِي بي، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، ١١] وليس من نافلة القول ـعباد اللهـ الإشارة إلى أنّ المصائب والابتلاءات تخلتف وتتعدّد؛ فهذا رجلٌ ابتُليَ بالفقر، ١٢] وعلى المسلم حين البلاء أنْ يستشرف النعم في جوف الألم، فإنّ الله ـتعالىـ قد رحمني؛ إنّه هو الغفور الرحيم. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ولِسائلٍ أن يسأل لماذا يبتلينا الله بالمصائب والأحزان والهموم والغموم؟ أقول أن الله لا يُسأل عما يفعل؛ ولكنّ الله بيّن لنا تفضّلا منه أسباب البلاء، فإذا أذنب العبد ذنباً صغيراً كان أم كبيراً فليتفطّن لأمر البلاء، وليسرع التوبة إلى الله ـعزّ وجلّـ، فإنّ البلاء يقع أحياناً ليعلم الله ـسبحانهـ الصادقين من المؤمنين، قال تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ)؛ ١٦] فيظهر بالبلاء صدق الصادقين، وإنّ قدّرتَ علينا بلاءً فاجعلنا ممّن يرضى بالقضاء، ويصبر على البلاء يا رب العالمين. اللهم ارفع عنا الوباء والغلاء وسيء الأسقام برحمتك يا أرحم الرّاحمين. سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين. (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي